

الإجراء التطبيقي:

نشر الجواهري قصيدته هذه في الثامن والعشرين من آذار عام ١٩٥٨م، في جريدة الأوقات البغدادية، حيث كانت الأمة العربية تغلي على أثر تقسيم فلسطين، ولم يتضح بعد فتور الهمم نحو استردادها. يبد أن الشاعر المبدع صاحب نبوءة ونظر، ليس لأنه يقرأ الغيب، وإنما لأنه يتمثل الماضي، ويستلهم الحاضر، ويستشرف المستقبل. إن "تنويمه الجياع" هي "هدهدة" يهددها الجواهري أمة نائمة، أو أو شكت أن تنام، كما تهدده الأم ابنها في سريره، وتهلل له بصوت حزين حنون رقيق شجي ليستشعر الحنان والأمان فتثقل عيناه فينام. وهكذا يتناول الجواهري هذه "الترويدة" أو "الهدهدة" من أفواه الأمهات، على بساطتها وشعبيتها وعفويتها، ليرقى بها إلى مستوى دلالي متقدم، دون أن يصدد الذوق العربي أو الذائقة العربية الفصيحة. وإذا كانت "ترويده" الأم لطفلها، ودعوته إلى النوم بعد أن يكون شعبان ريان، فإن المفارقة في دعوة الشاعر (جياع الشعب) إلى النوم واضحة منذ البيت الأول.

فقد وصف الشعب بأنه جائع، ومعروف في تقاليدنا وفي تجاربنا أن الجائع لا يستطيع النوم، وإذن فدعوته إلى النوم تحمل بعداً ثالثاً أعمق من ذلك. وربما تعزز هذا البعد إذا ما تذكرنا أن دعوة الشاعر قومه أن يناموا وهم في حالة من "الجوع" وتحرسهم "آلهة الطعام" فكيف يكون ذلك؟ ولعل الصراع المحتدم بين رغبة الشاعر في أن يرى أمته غير نائمة، وتطلعه إلى تنويرها، وبين قمع هذا التطلع وقهره، هو الذي جسد تفكيكية هذه القصيدة، وجعل الشاعر يصطنع هذه